« أَوَلَم يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا »

السماوات والأرض خلقتا ملتصقتين حتى حدث «الانفجار العظيم»

■ قال كعب: خلق الله السماوات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحاً توسطتهما ففتقهما بها

■ أثبتت دراسات الفلكيين وصور الأقمار الاصطناعية في نهاية القرن العشرين أن نشأة الكون بدأت إثر انفجار عظيم

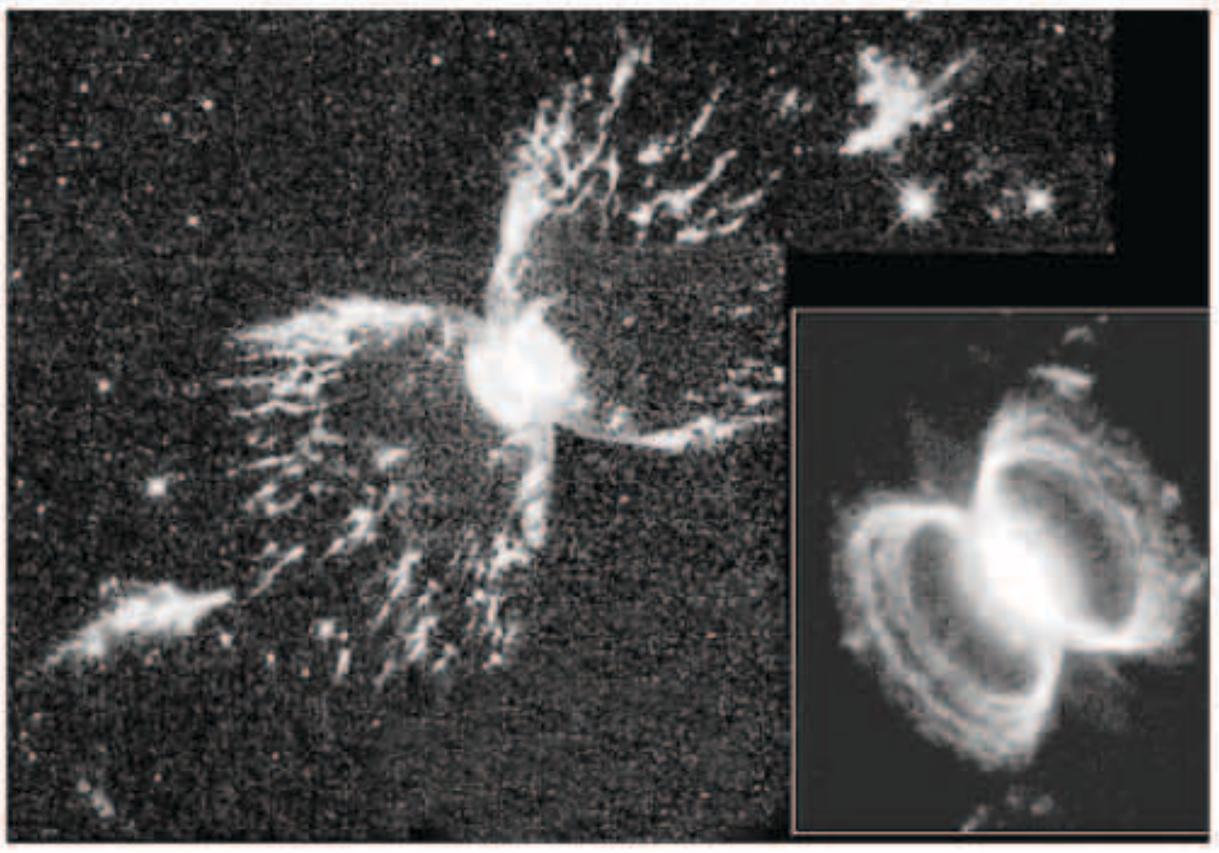

قال كعب: خلق الله السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقهما بها.

أثبتت دراسات الفلكيين وصور الأقمار الاصطناعية في نهاية القرن العشرين أن نشأة الكون بدأت إثر انفجار عظيم.

ففتقناهما: الفتق خلاف الرتق، فتقه يفتقه فتقا: شقه. الفتق: انفلاق الصبح

فهم المفسرين: قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: «أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما»

اختلف المفسرون في المراد بالرتق والفتق على أقوال أحدها: وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير ورواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أن المعنى كانتا شيئا واحدا ملتصقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي، وأقرّ الأرض، وهذا القول يوجب أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء لأنه تعالى لما فصل بينهما ترك الأرض حيث هي وأصعد الأجزاء السماوية، قال كعب: «خلق الله السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقهما بها».

وثانيها: وهو قول أبي صالح ومجاهد أن المعنى: كانت السموات مرتفعة فجعلت سبع سموات وكذلك الأرضون.

وثالثها: وهو قول ابن عباس والحسن وأكثر المفسرين أن السموات والأرض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة، ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات والشجر. وتظيرهقوله تعالى: «والسماء ذات الرّجع والأرض ذات الصّدع». ورجحوا هذا الوجه على سائر الوجوه بقوله بعد ذلك: «وجعلنا من الماء كل شيء حيّ» وذلك لا يليق إلا بالماء تعلق بما تقدم، ولا يكون كذلك إلا إذا كان المراد ما ذكرنا.

ورابعها: قول أبي مسلم الأصفهاني: يجوز أن يراد بالفتق: الإيجاد والإظهار كقوله: «فاطر السماوات والأرض» وكقوله: «قال بل ربكم ربّ السماوات والأرض الذي فطرهن» فأخبر عن الإيجاد بلفظ الفتق، وعن الحال قبل الإيجاد بلفظ الرتق.

أقول أبي الرازي: وتحقيقه أن العدم نفي محض، فليس فيه ذوات مميزة وأعيان متباينة، بل كانه أمر واحد متصل متشابه فإذا وجدت الحقائق، فعند الوجود والتكون يتميز بعضها عن بعض، وينفصل بعضها عن بعض فبهذا الطريق حسن جعل الرتق مجازا عن العدم والفتق عن الوجود».

قال الطبري في تفسير الآية أيضا: وقوله: «ففتقناهما» يقول: فصدعناهما وفرجناهما ثم اختلف أهل التاويل في معنى وصف الله السموات والأرض بالرتق، وكيف كان الرتق وبأي معنى فتق؟

فقال بعضهم: عنى بذلك أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة فتقها الله فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة فتقها فجعلها سبع أرضين. وهو مروي عن مجاهد وأبي صالح والسدي.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أن السموات كانتا رتقا لا تمطر، والأرض كذلك رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، وهو مروي عن عكرمة وعطية وابن زيد.

قال أبوجعفر «الطبري»: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ألم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» على ذلك.

ورجّح هذا القول القرطبي في تفسيره أيضا.

مقدمة تاريخية: يمكن العودة بأولى تصورات الإنسان لنشأة الكون إلى العصر الحجري أي قبل مئات الآلاف من السنين، حيث سيطرت الخرافة على خيال الإنسان وتطور العقل البشري عند المصريين القدامى والبابليين الذي تجلى عندهم الربط بين أزلية الكون والآلهة المتعددة المسيطرة عليه، وقد حاول فلاسفة الإغريق والرومان وضع نظريات للظواهر الكونية بينما ساد علم التنجيم الحضارتين الهندية والصينية.

إن الخاصية العامة التي طبعت تصورات الكون عند الحضارات القديمة هي ارتباطها بعالم الآلهة واعتقادها الراسخ بوجود اختلاف اساسي بين الأرض والسماء، مما لم يسمح بوضع نظريات عن الكون وكيفية نشأته، لكن بعد التطورات الهامة التي شهدتها الإنسانية في بداية القرن العشرين في المجال الفلكي على الصعيد النظري، مع نظرية النسبية العامة التي وضعت الإطار الرياضي الصحيح لدراسة الكون، وكذلك على الصعيد الرصدي مع الاكتشافات الرائعة لأسرار الفضاء، كان لابد من وضع نظرية عامة تقوم بإدماج تلك المعطيات مقدمة تصورا موحدا ومتجانسا قصد تفسير اهم الظواهر الكونية ومنها نشأة الكون.

لقد اقترح القس البلجيكي جورج لوميتر سنة 1927 صورة جديدة لنشأة الكون وتطوره وقد وافقه على ذلك جورج غاموف الفيزيائي الأميركي من أصل روسي الذي قدم افكارا طورت نظرية «لوميتر».

حقائق علمية: في عام 1927 عرض العالم البلجيكي: جورج لوميتر نظرية الانفجار العظيم والتي تقول ان الكون كان في بدء نشأته كتلة غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة، ثم بتأثير الضغط الهائل الناتج من شدة حرارتها حدث انفجار عظيم فتق الكتلة الغازية وقذف بأجزائها في كل اتجاه، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرات.

ولقد سمى بعض العلماء هذه النظرية بالانفجار العظيم وبحسب علماء الفيزياء الفلكية اليوم فإن الكون يعد جزء من المليارات المليارات من الثانية (10 – 43)، ومنذ حوالي خمسة عشر مليار سنة تقريبا كان كتلة هائلة شديدة الحرارة بحجم كرة لا يبلغ قطرها جزءا من الألف من السنتيمتر.

وفي عام 1840 أيد عالم الفلك الأميركي من أصل روسي جورج غاموف نظرية الانفجار العظيم، ما مهد الطريق لكل من العالمين بانزياس وويلسون سنة 1964 اللذين التقطا موجات راديو منبعثة من جميع أرجاء الكون لها نفس الخصائص الفيزيائية في أي مكان سجلت فيه، لا تتغير مع الزمن أو الاتجاه، فسميت «النور المتحجّر» أي النور الآتي من الأزمنة السحيقة وهو من بقايا الانفجار العظيم الذي حصل في الثواني التي تلت نشأة الكون. وفي سنة 1989 أرسلت وكالة الفضاء الأميركية قمرها الاصطناعي Cobe explorer والذي قام بعد ثلاث سنوات بإرسال معلومات دقيقة إلى الأرض تؤكد نظرية الانفجار العظيم، وسمّي هذا الاكتشاف باكتشاف القرن العشرين. هذه الحقائق العلمية ذكرها كتاب المسلمين (القرآن) منذ أربعة عشر قرنا، حيث تقول الآية الثلاثون من سورة الأنبياء: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا».

ومعنى الآية أن الأرض والسموات بما تحويه من مجرات وكواكب ونجوم والتي تشكل بمجموعها الكون الذي نعيش فيه كانت في الأصل عبارة عن كتلة واحدة ملتصقة وقوله تعالى «رتقا» أي ملتصقتين، إذ الرتق هو الالتصاق ثم حدث لهذه الكتلة الواحدة «فتق» أي انفصال وانفجار تكونت بعده المجرات والكواكب والنجوم، وهذا ما كشف عنه علماء الفلك في نهاية القرن العشرين.

أو ليس هذا التوافق مدهشاً للعقول، يدعونا للبحث عن خالق هذا الكون، مسبب الأسباب؟

«الحق من ربك فلا تكونن من الممترين».

مراجع علمية: قد ذكرت الموسوعة البريطانية انه في عام 1963، كلفت مختبرات Bell العالمان ارنو بنزياس وروبرت ويلسون باتباع اثر موجات الراديو التي تشوش على تقدم اتصالات الأقمار الاصطناعية. اكتشف العالمان بنزياس وويلسون انه كيفما كان اتجاه محطة البث فإنه يلتقط دائما موجات ذات طاقة مشوشة خفيفة، حتى ولو كانت السماء صافية، أسهل حل كان إعادة النظر في تصميم اللاقطات لتصفي الموجات من التشويش، ولكنهما ظلا يتتبعان اثر هذه الموجات المشوشة، فكان اكتشافهم المهم للموجات الفضائية التي اثبتت نظرية الانفجار العظيم.

بنزياس وويلسون ربحوا جائزة نوبل في الفيزياء على هذا الاكتشاف سنة 1978.

وجه الإعجاز:

وجه الإعجاز في الآية القرآنية هو تقريرها بأن نشأة الكون بدأت إثر الانفجار العظيم بعد أن كان كتلة واحدة متصلة، وهذا ما أوضحته وأكدته دراسات الفلكيين وصور الأقمار الاصطناعية في نهاية القرن العشرين.

«هذا خلق الله».. تعلم فن الطيران من البذور الطائرة

يقول تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) . لنتأمل دقة الصانع عز وجل للبذور التي خلقها وسخر لها وسائل الاستمرار.

نتعرف على اكتشاف كيف تصبح بذور القيقب كحشرات العثة؟ فعندما تهب الرياح وتسقط هذه البذور من الأشجار يظهر لها ما يشبه أجنحة العثة لتطير كالهليكوبتر إلى مسافة تبلغ كيلومترا حتى تصل إلى قطعة أرض جديدة تهبط عليها لتبدأ فيها دورة حياة جديدة حتى تصبح شجرة.

وقد تم تصميم بذور صناعية للقيام بالتجربة في المختبر، ويقول الباحثون إنهم سيستفيدون من التقنية المعقدة التي تستخدمها هذه البذور من أجل تطوير الطائرات، وبخاصة الرحلات الفضائية بين الكواكب، سبحان الله! حتى هذه البذرة سخرها الله لنتعلم منها فن الطيران. يقول تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

هرمونات في القلب تجعله مركزا للتعقل

س: هل مركز الإيمان والتبصر في الانسان هو القلب؟ واذا كان كذلك فكيف الحال في عمليات نقل القلوب والقلوب الصناعية؟ وهل القلب في القرآن والسنة هو هذا القلب؟

ج: اليوم فقط في الفجر وجدت جوابا جديدا كنت أبحث عنه، فمنذ مدة ونحن نتتبع هذا فأرسلنا واحدا من اخواننا الى مركز اجراء العمليات الصناعية لتغيير القلوب الصناعية الى أميركا قال: لو تسمحون لي أن أقابل المرضى؟ قالوا: لا نسمح لك! لماذا؟ أريد أن أقابلهم وأن أسألهم. فماذا حدث؟ انزعجوا انزعاجا شديدا من طلبي! فما السبب؟ قالوا لي: أي معلومة تريدها نحن سنقدمها لك. قلنا: ان شاء الله ربنا سيكشف وسيجعل من هذا اعجازا علميا نتكلم عنه في الأعوام القادمة والأيام القادمة – ان شاء الله – هكذا وسترون وستذكرون. فأخذنا نتتبع فاذا باستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز قال لي: أما سمعت الخبر؟! قلت ما هو؟ قال نشر في الجريدة منذ ثلاث سنوات ونصف. تقول الجريدة: انهم اكتشفوا أن القلب ليس مضخة للدماء، بل هو مركز عقل وتعقل. الله اكبر أرتي الجريدة سلمتي الجريدة فأحضرها لي وهي موجودة عندي وهذا أول باب. مرت الأيام واذا بمركز لتبديل القلوب بالأردن، فقلت هذه بلاد عربية لعلنا ان شاء الله يتيسر لنا معلومة، وأن نرى ذلك بأعيننا فأحد الأخوة من المتتبعين لهذا الموضوع قال: هل سمعت المؤتمر الصحافي لأول شخص بدل قلبه؟ قلت: لا قال: عقد مؤتمر صحافي وقالوا: لو اتكم معنا في البيت تشاهدون سلوك هذا ما غبطتموني على هذا. يبقى هناك شيء ولكنه ليس محل تركيز وأبحاث. اليوم في الفجر اتصل بي أحد الإخوة من الأطباء السعوديين يشتغل في عملية تغيير القلوب ويريد أن يبعد بحثا عن هذا الموضوع، فأخذت أسأله: أنا أريد أن تركز على التغييرات العقلية التي تحدث والنفسية، والقدرة على الاختيار ماذا يحدث؟ قال: أولا أريد أن أقول لك شيئا معلوما الآن عند العاملين في هذا الحقل وهو أن القلب الجديد لا تكون فيه أي عواطف ولا انفعالات.. كيف هذا الكلام؟ قال: هذا القلب اذا قربت اليه خطرا بدا وكانه لا شيء يهدد! بينما الذاتي يرعش واذا قربت شيئا يحبه بدا وكانك لم تقدم اليه شيئا. قلب بارد غير متفاعل مع سائر الجسد. فأقول: هذا ان شاء الله سيكشف عن كثير من أوجه الاعجاز وسببين ما نبحث عنه واصبروا قليلا. فان المسألة في بدايتها وهاهم يقولون: اكتشفوا في القلب هرمونات عاقلة، وهرمونات عاقلة ترسل رسائل عاقلة الى الجسم كله وان القلب مركز عقل وتعقل، وليس مجرد مضخة والله اعلم وان موعدنا قريب باذن الله المصدر «أنت تسال والشيخ الزنداني يجيب حول الاعجاز العلمي في القرآن والسنة» للشيخ عبدالمجيد الزنداني.

قال تعالى: «ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا» (الاسراء- 36).